وسكنها الباقون وهم على مراتبهم في المد ولما تفرست فيه بما اراه الله تعالى
من بصيرتها واصفى من سريرتها التقوى قالت **ان كنت تقيا** اي مطيعا
مومنا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك
او نحو ذلك دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها
فان قيل انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا اجيب
بان هذا كقول القائل ان كنت مومنا فلا تظلمني اي ينبغي ان
يكون تقواك مانعة من الفجور ولهذا في نهاية الحسن لانها علمت انه
لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي وهو كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربا
ان كنتم مومنين اي ان شرط الايمان يوجب هذا لا ان الله تعالى يخشى
في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر يتبع النساء
اسمه تقي فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك فاستعاذت
منه قال الرازي والاول هو الوجه ولما علم جبريل عليه السلام خوفها
قال مجيبا لها بما معناه اني لست ممن تخشين ان يكون منهما مؤكدا
لاجل استعاذتها **قال انما انا رسول ربك** اي الذي عذت به فانا لست
منهما بل متصف بما ذكرت وزيادة الرسالية وعبر باسم الرب المقتضي
للاحسان لطفا بها ولان هذه السورة مصدرة بالرحمة ومن اعظم
مقاصدها تعداد النعمة على خلص عباده وقوله **لاهب لك** قرأ ورش
وابو عمرو وقالون بخلاف عنه بالياء ليهب الله لك وقرأ الباقون
بالهمزة اي لاهب انا لك وفي مجازه وجهان الاول ان الهبة لما جرت
على يده بان كان الذي هو نفخ في جيبها بامر الله تعالى جعل نفسه
كانه هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى من هو سبب مستعمل
قال الله تعالى في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس الثاني ان
جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك كانت البشارة الصادقة
جارية مجرى الهبة ثم بين الموهوب بقوله **غلاما** اي ولدا ذكرا
في غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله **زكيا** اي نبيا طاهرا
من كل ما يدنس البشر ناميا على الخير والبركة **قالت** مريم **انى** اي من
اين وكيف **يكون لي غلام** **ولم يمسسني بشر** بنكاح **ولم اك بغيا**
اي زانية فتعجبت مما بشرها به جبريل عليه السلام لانها قد عرفت بالعادة
ان الولادة لا تكون الا من رجل والعادة عند اهل المعرفة معتبرة في الامور
وان جوزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها
لم تعلم انه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت انه تعالى
خلق ابا البشر على هذا الحد ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون
كذلك لا بد ان يعرف قدرة الله تعالى على ذلك وبما تقرر سقط ما قبل

قولها

قولها ولم يمسسني بشر يدخل تحته قولها ولم اك بغيا ولهذا اقتصر عليه في ال
عمران بقولها قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فلم تذكر البغي
ويجوز ان يقال افردت ذكر البغي مع دخوله في الكلام الاول لانه اعظم ما في بابه
فهو نظيره قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله
تعالى وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكائيل **قال** لها جبريل عليه
السلام الامر **كذلك** من خلق غلام منك من غير اب ولما كان لسان
الحال قائلا كيف يكون بغير سبب اجاب جبريل بقوله **قال ربك هو**
اي المذكور وهو ايجاد الولد على هذه الهيئة **علي** وحدي لا يقدر عليه
غيري **هين** اي بان ينفخ فيه بامري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في
معنى العلة عطف عليه **ولنجعله** بما لنا من العظمة **اية للناس** اي علامة
على كمال قدرتنا على البعث ادل من الاية في يحيى عليه السلام وبه تمام
القسمة الرباعية في خلق البشر فانه اوجده من انثى بلا ذكر وحوى من
ذكر بلا انثى وادم عليه السلام لا من ذكر ولا انثى وبقية اولاده من
ذكر وانثى معا **ورحمة منا** على العباد يهتدون به **وكان** ذلك كله
امرا مقضيا به في علمي وقوله تعالى **فحملته** فيه حذف تقديره فنفخنا
فيها فحملته دل ذلك على قوله تعالى في سورة التحريم ومريم ابنت عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا واختلف في النافخ فقال بعضهم
كان النفخ من الله لهذه الاية ولانه تعالى قال ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما اخرجه
الدليل وفي حق ادم النافخ هو الله تعالى قال الله تعالى فنفخت فيه من روحي
فكذا ههنا وقال بعضهم النافخ جبريل لان الظاهر من قول جبريل
عليه السلام لاهب لك على احد القراءتين انه النافخ واختلف في كيفية
نفخه فقيل ان جبريل عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبها حين
لبست وقيل مد الجيب درعها باصابعه ونفخ في الجيب وقيل نفخ
في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل النفخ
اليها فحملت بعيسى في الحال وقيل نفخ في ذيلها فدخلت النفخة في صدرها
فحملت فجاءت اختها امراة زكريا تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى
وذكرت مريم حالها فقالت امراة زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد
لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل حملت وهي
بنت ثلاثة عشر سنة وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل قال الرازي وليس في القران ما يدل على شيء
من هذه الاقوال المذكورة ثم عقب بالحمل قوله **فانتبذت** اي
فاعتزلت به وهو في بطنها حالة **مكانا قصيا** اي بعيدا من اهلها

Copyright … University